وقفة: مع الحياء

الحياءُ أيها المسلم، ويا أيتها المسلمة، هو طاعة الله تعالى في كل الأحوال، صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، أفراداً ومجتمعات، أسراً وجماعات.

الحياء يا عبد الله، هو خلق الإسلام الفاضل، الذي ينتهي به المسلم عن المحرمات، ويبتعد به عن قبيح الصفات.

الحياءُ من الله يمنع من التقصير في حق ذي الحق سبحانه وتعالى، ويمنع من التقصير في العبودية، ويمنع النفس عن فعل ما يُعاب، ونهيها عن فعل شيء محرم، مخافة ما يعقبه من ذم ولوم.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظه في الحياء، أي ينهاه عن كثرة الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**دعه فإن الحياء من الإيمان**═.

الله أكبر أيها الأحبة في الله، الحياءُ خلّةٌ من خلال الخير، وشعبة من شعب الإيمان، بل هو الخير كلّه، ففي صحيح مسلم رحمه الله، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**الحياء خير كله**═، أو قال:♂**كله خير**═، وكان صلى الله عليه وسلم كما أخبر أبو سعيد الخدري رضي الله عنه:♂**أشد حياء من العذراء في خدرها**═، عذراء الأمس لا عذراء اليوم، وإلا فأين هنّ العذراوات اليوم؟ أين المتخلقات بأخلاق خديجة وفاطمة ورقية؟ وأين هي عائشة في النساء،{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

بالحياء أيها الأخ الحبيب، وبالحياء أيتها الأخت الفاضلة تعمر القلوب، ويُستخفى من علام الغيوب، بالحياء لا تُرتكب المعاصي،

ولكن إذا ذهب الحياء، صَنع عديمُ الحياء ما يشاء، وفي الحديث: ♂**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**═.

أحبتي في الله، من قوي حياؤه صان عِرضُه، وعفّ نفسه، ودفن مساوئه، ونشر محاسنه، من قوي حياؤه صار ذكره عند الناس محموداً، وعند الله مرفوعاً.

أما من ذهب حياؤه فوجب عزاؤه، وذهب سروره، ودفنت محاسنه، وكان عند الناس مهاناً، وعند الله ممقوتاً، نعوذ بالله من الخذلان.

وإذا كان المسلم - وهذا والله اليوم مشاهد - يستحي من الخلق، فلا يكشف لهم عورة، ولا يقصر لهم في حق، ولا ينكرُ لهم معروفاً، يبالغ في طاعة الأمناء والمدراء، ويترك طاعة رافع السماء، فسبحان الله، وفي القرآن الكريم:{ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا } [النساء: ١٠٨].

فأين نحن أمة الإسلام، أين المسلمون من الحياء من الله؟ وأين المسلم الذي يستحي من ربه وخالقه، فلا يقصر في طاعته، ولا في شكر نعمته؟ فالله أحق أن يُستحيا منه، ومن استحي من الله حق الحياء، حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، وترك زينة الحياة الدنيا، ورجع على نفسه فحاسبها على التقصير، فلا يراه الله حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره، فلا يراه في الطرقات، ولا يفقده في الصلوات.

يقول عمر رضي الله عنه (من استحيا اختفى، ومن اختفى اتقى، ومن اتقى وُقِيَ)، وإذا فُقِد الحياء من الرجل، وإذا فُقِد الحياء من المرء فقل عليه السلام، فقل عليه السلام، وهذا ليس من باب إهداء

السلام إليه، وإنما يقيناً بوصول الموت إليه، فقد هبط من الفضيلة إلى الرذيلة، ومن القمة إلى القاع، وهوى في دركات الحماقة، وسقط في مستنقعات الوقاحة، ولم تزل خطواتُه تقودُه من سيئة إلى أخرى، ومن كبيرة إلى أكبر، حتى يصير بذيئًا حافياً، فيه قبائح الأفعال وسيئ الأقوال، فإن الله عز وجل إذا أراد بعبده هلاكاً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً، فإن كان كذلك نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائناً، فإذا كان خائناً نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزع ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لعيناً وهكذا، عياذاً بالله عياذاً، ولياذاً بالله لياذاً، والله المستعان، وحذار حذار أيها الموحدُ لله تعالى أن تكون ممن نزع الله الحياء من وجوههم، فتردى مع الرَّدِي، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وعند البخاري من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت ".

قال الإمام مالك رحمه الله، والله لو هذا ما قيل في الحياء والأدب لكفت: (إذا لم تستح فاصنع ما شئت).

وإذا ضاع الحياء عانت المجتمعات من المحن، وانتشر فيها الإحن، وتتابعت عليها الفتن، فاستبيحت المحرمات، وارتُكِبَت المنهيات، وعانق الناس الرذيلة، وأقصيت الفضيلة، اجتثت الأخلاق من جذورها بدعوى الحضارة والتمدن، بدعوى التقدم والتطور،{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

فهل ضُيِّعت الصلوات، وعطلت أحكام الدين، إلا يوم قل الحياء من الله، وابتعد الناس عن تعاليم دينهم؟ وهل وقع في المعصية من

وقع، إلا يوم قل حياؤه من الله، فاستهان به سبحانه حتى جعله أهون الناظرين إليه؟

وهل خرجت النساء المسلمات، كاسيات عاريات، بثياب واهية وإن لم تُشِف، وأيم الله تصف، إلا يوم كسرت المسلمة ثيابها، ودفقت ماء حيائها، وضاع من وجهها العفاف، وإذا سألتها قالت إنها الحضارة والتمدن، وإنه التقدم والتطور، فهل تُتّهَم عائشة بالتخلف اليوم، أم هو وصفٌ للزهراء رضي الله عنها، كلا وألف كلا، فو الله ما كنّ إلا من خيرة النساء، ونسأل الله تعالى أن يهدي نساءنا وبناتنا، سواء السبيل.

فيا إخوتي في الله، إن الذي حمل على النزول إلى المستويات الهابطة من الأخلاق والتعامل، هو ذهاب الحياء، وصدق الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى، صلى الله عليه وسلم حين قال: ♂**إذا لم تستح فاصنع ما شئت**♂.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**الإيمان بضع وسبعون شعبة، أو بضع وستون شعبة، أفضلها لا إله إلا الله – وهذه الأفضل على الإطلاق – وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**♂.

ثم اعلم رحمك الله أيها القارئ الكريم أنه إذا كان الحياء محموداً فالوقاحة مذمومة، فإنه لا حياء في الدين، بمعنى أن خلق الحياء في المسلم غير مانع له من قول الحق، أو طلب العلم، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تقول أمّنا عائشة رضي الله عنها: (يرحم الله نساء الأنصار، لم يمنعهن الحياء أن يتعلمن أمور دينهن).

وقد شفع أسامة بن زيد رضي الله عنهما حبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه، في المرأة التي سرقت، فلم يمنع الحياء

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول لأسامة في غضبٍ:♂**أتشفع في حد من حدود الله؟**═.

ولم يمنع الحياء أم سليم رضي الله عنها أن تقول: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هي احتلمت؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :♂**نعم، إذا رأت الماء**═.

إن الحياء الممدوح أيها الفضلاء، هو الذي يكف صاحبه عن الحرام، ويحمله على الطاعة.

أما الحياء الذي يمنع صاحبه من السعي فيما ينفعه دنيا وأخرى، فهو حياء مذموم، وتخذيل من الشيطان، وتلبيسٌ من إبليس، عليه لعائن الله تترا.

فإن كنت أخي الحبيب المبارك، ممن يبتغون الجنة، ويتغايون الفردوس، " أي يجعلونها غاية يعملون من أجل دخولها برحمة الله "، فكن حييًّا، وكوني أيتها المسلمة امرأة ذات حياء.

فعلى كل إنسان بدءًا باللحظة، وانتهاءً بألا محدود، لا للوقاحة، ولا للصفاقة، ولا لبرودة الوجه، وبالجملة لا لسيئ الأخلاق، والله ولي التوفيق.

واحرص بارك الله فيك أخي، على خلق الحياء سلوكاً ومنهجاً، تربية وواقعاً، تعليماً وتهذيباً، واقتداءً وتقويماً، واعلم أن الحياء من الأخلاق، ورسولنا صلى الله عليه وسلم يقول:♂**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**═.

فاللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت، واملأ وجوهنا

بالحياء، وقلوبنا بالإيمان واليقين، يا رب العالمين.

* * *